جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 37 / أيلول 2023

أثر علمـــاء الإماميّـــة في البناءات التفسيريّـــة
دراسة تأصيليّة في التفسير الموضوعي

The impact of the Imamate scholars in the interpretation constructs
(An original study of objective interpretation)

رائد خضيّر محمّد
Raeed Khudhair Mohmmed
أ.د. محمّد حسين عبّود الطائي
Prof.Dr Mohammed Hussain Abbood Al taee
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: البناءات، المنهج، التفسير، الموضوعي، الفكر.
Keywords: constructions , method, interpretation, objective, Thought.

الملخّص:

تربّع كتاب الله الكريم على قلوب أمّة آمنت به بعد كفر، وتابعت سبله بعد ضلال، وأخذت بتعاليمه ونواهيه بعد تكبّر، لكنّ هذا الأخذ شابته بعض الصعوبات؛ كون القرآن الكريم كتاباً جامعاً للشرائع والأحكام وفيه من المحكم والمشكل والناسخ والمنسوخ الشيء الكثير، الأمر الذي دفع المسلمين إلى تتبّع معالمه ومعانيه عن أهل العصمة ومعدن الرسالة ومنبع الإيمان ومصبّه، فأخذوا منهم وتتبعوا سبلهم وسايروا ما خطته أقلامهم، وأخذوا عنهم بعد غُيّب بقية الله مسالكه القول وطرق التفسير الذي كان التفسير الموضوعي إحداها.

والباحث هنا سيحاول تتبّع هذا الأسلوب التفسيري تأصيلاً ونوعاً ومن ثمّ دراسته عند علماء الإماميّة على وجه الخصوص، لمعرفة المنهجيّة التفسيريّة التي ساروا عليها عن طريق دراسة مفهوم التفسير الموضوعي وأهميّته، ثمّ ذكر أنواع التفسير الموضوعي والفرق بينه وبين الترتيبي، ختاماً ببيان أثر علماء الإماميّة في التفسير الموضوعي والذي هو محور البحث مع الاستشهاد ببعض التطبيقات التفسيريّة في التفسير الموضوعي.

Abstract:

The Noble Book of God sits on the hearts of a nation that believed in it after disbelief and pursued its paths after misguidance and took its teachings and prohibitions after arrogance، but this taking was marred by some difficulties because the Noble Qur’an is a book that collects the laws and rulings and includes a lot of arbitrator، problem، copyist، and abrogation، which prompted Muslims to follow its features And its meanings from the people of infallibility، the metal of the message، the source and the mouth of faith، so they took from them and followed their paths and followed what their pens had planned، and they took from them after the absence of the rest of God، his paths of saying and methods of interpretation، one of which was the objective interpretation.

The researcher here will try to trace this exegetical method of origin and type، and then study it among the Imami scholars in particular، in order to find out the exegetical methodology that they followed by studying the concept of objective interpretation and its importance، then mention the types of objective interpretation and the difference between it and the ordinal، concluding by explaining the role of Imami scholars in exegesis The objective، which is the focus of the research، with citing some explanatory applications in objective interpretation..

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمّد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين وبعد.

تربّع كتاب الله الكريم على قلوب آمنت به واستسلمت لبيانه، واشرأب في أعماقها عظيم أثره، وهامت ببديع تنظيمه وترتيبه، فأخذت بتعاليمه ونواهيه، وراحت تبحث عن السبل في تذليل الصعوبات في فهم القرآن الكريم؛ كونه كتاباً جامعاً للشرائع والأحكام، وفيه من المحكم والمشكل والناسخ والمنسوخ الشي الكثير، الأمر الذي دفع علماء المسلمين إلى تتبّع معالمه ومعانيه عند أهل العصمة ومعدن الرسالة ومنبع الإيمان ومصبّه صلوات الله

عليهم أجمعين، فأخذوا منهم وتتبعوا سبلهم وسايروا ما خطته أقلامهم، وأخذوا منهم ما أُثر عنهم، وكيف لا يرجعون إليهم وهم عدل القرآن وتراجمة وحيه، وخزنة شرائعه وعيبة علمه، وهم الذين أوصى بمتابعتهم رسول الرحمة(صلّى الله عليه وآله)، حين قال: ((إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))[1]، ولم يغب دور أئمة الهدى(عليهم السلام) بعد رحيلهم، بل استمر في خلفائهم من العلماء والمفسرين الذين لم يدّخروا جهداً أو يألوا وسعاً في استنطاق كتاب الله وفقاً لما ورد عن أئمة الهدى(عليهم السلام) من روايات وأحاديث، وقد كان لهم دورٌ بارزٌ في تفسير القرآن الكريم، لا سيما التفسير الموضوعي.

إنّ المتتبّع للتراث التفسيري عند علماء الإماميّة، يلمس بجلاء حجم الجهود المبذولة من قبلهم، في استكناه معاني النّص القرآني، وسبر أغواره، عن طريق الأساليب المتنوعة في التفسير، فتجد التفسير البياني والبلاغي والعقائدي والفقهي، وكذا التفسير الموضوعي.

من هنا فإنّ الباحث سيحاول تتبّع هذا الأسلوب التفسيري تأصيلاً ونوعاً، ومن ثمّ دراسته عند علماء الإماميّة على وجه الخصوص، لمعرفة المنهجيّة التفسيريّة التي ساروا عليها، على نحو التأصيل، وعن طريق "البناءات التفسيريّة"[*] المعتمدة عليهم، هذا بالبحث الموسوم(أثر علماء الإماميّة في البناءات التفسيريّة ـ دراسة تأصيليّة في التفسير الموضوعي ـ).

وطبقاً لمقتضيات الموضوع فقد ضمّ البحث ثلاثة مباحث مشفوعة بخاتمة، اختص المبحث الأوّل بدراسة مفهوم التفسير الموضوعي وأهميّته، عن طريق جملة من المطالب، فيما خُصِّصَ المبحث الثاني لدراسة أنواع التفسير الموضوعي، ثمّ بيان الفرق بينه وبين الترتيبي وذلك عبر مطالب عدّة أيضاً.

أمّا المبحث الثالث والذي هو محور البحث فقد جاء ليبيّن أثر علماء الإماميّة في التفسير الموضوعي، مع الاستشهاد ببعض التطبيقات التفسيريّة في التفسير الموضوعي، في جملة مطالب تكشف عن المطلوب، ثمّ خاتمة البحث التي اشتملت على أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث، كما وضمّ البحث قائمة بالمصادر والمراجع.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المخلصين.

المبحث الأوّل: مفهوم التفسير الموضوعي وأهميّته

المطلب الأوّل: مفهوم التفسير الموضوعي

يتألف مصطلح(التفسير الموضوعي) من جزأين رُكّبا تركيباً وصفيّاً، فلا بد من تعريف الجزأين أوّلاً ثمّ تعريف المصطلح المركّب منهما:

الأوّل: التفسير

1ـ التفسير في اللغة: هو مصدر فسّر بتشديد السين، الذي هو مضعّف فَسَرَ بالتخفيف الذي مصدره الفَسْر، وكلاهما فعل متعدٍ، وهما بمعنى الاستبانة والكشف[2]، "وفَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ

أَبانه...الفَسْرُ كشف المُغَطّى، والتَّفْسير:" كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل"[3]،... واسْتَفْسَرْتُه كذا أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لي"[4].

2ـ التفسير في الاصطلاح: للتفسير في الاصطلاح كثير من التعريفات، ولا يمكن إيرادها جميعاً؛ لذا سنقتصر على ذكر بعضها:

أ ـ قال الزرقاني عن التفسير بأنّه: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشريّة"[5].

ب ـ ويرى السيّد محمد حسين الطباطبائي التفسير بأنّه: "بيان معاني الآيات القرآنيّة والكشف عن مقاصدها ومداليلها"[6].

الثاني: الموضوعي

1ــ الموضوع في اللغة: الموضوع: من الوضع، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء أكان ذلك بمعنى الحط والحفظ، أم بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، يقال ناقة واضعه: " إن رعت الحمض حول الماء ولم تبرح"[7].

2ــ الموضوع في الاصطلاح: سنكتفي بذكر مفهوم (مصطلح الموضوع) من الزاوية التفسيرية؛ لتماشيه مع المقام:

أـ قال الدكتور مصطفى مسلم:(هو قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم)[8].

ب ـ قال الدكتور عبد الستار سعيد:(الموضوع عند علماء التفسير: القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد أو الغاية الواحدة)[9].

وبعد أن أصبح (التفسير الموضوعي) أحد الأساليب التفسيرية تعددت وتنوعت تعريفاته من قِبَل المعاصرين، وسنورد بعضا منها:

1ـ هو "أن يفسّر القرآن موضوعاً موضوعاً، وأن تجمع آياته الخاصّة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستقصياً، ويعرف ترتيبها الزمني، ومناسباتها وملابساتها الحافّة بها ثمّ ينظر فيها بعد ذلك لتفسّر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى، وأوثق في تحديده، فصواب الرأي – فيما يبدو– أن يفسّر القرآن موضوعاً موضوعاً، لا أن يفسر على أساس ترتيبه في المصحف الكريم سوراً وقطعاً"[10].

2ـ هو "أن يختار المفسر مجموعة من الآيات تشترك في موضوع واحد يقوم بعملية توحيد بين مدلولاتها، من أجل أن يستخرج نظرية قرآنية شاملة بالنسبة إلى ذلك الموضوع"[11].

3ـ يتحقق التفسير الموضوعي عندما "يقوم على أساس دراسة موضوعات معينة تعرض لها القرآن الكريم في مواضع متعددة أو في موضع واحد، وذلك من أجل تحديد النظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضع المعين"[12].

4ـ هو(جمع الآيات الكريمة ذات المعنى الواحد، ووضعها تحت عنوان واحد والنظر فيها بما يؤلف منها موضوعاً واحداً مستخرجاً من الآيات الكريمة على هيئة مخصوصة)[13].

5ـ هو(المنهج الذي يتخذه المفسّر سبيلاً للكشف عن مراد الله تعالى من خلال الموضوعات التي يطرحها، والقضايا التي يعالجها توضيحاً لهداية القرآن، وتجلية لوجوه إعجازه)[14].

6ـ هو(الأسلوب الذي يتناول فيه المفسر الآيات القرآنية ذات العلاقة بموضوع معين للخروج بنظرية حول ذلك الموضوع)[15].

وبعد النظر بالتعريفات والمقارنة بينها نجد أنّها اختلفت؛ فبعض وصف التفسير الموضوعي بالدراسة والآخر بالاتجاه بينما وصفه أخرون بكونه أسلوباً، والأخير أصح؛ إذ إنّ الأسلوب أوسع؛ فهو يوظّف أكثر من منهج في التفسير، وهذا حال المفسّر للتفسير الموضوعي.

المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي

تتَّضح أهمية التفسير الموضوعي بمقدار ما لبّى من احتياجات عجزت عن تلبيتها المناهج الأخرى؛ فهو قد بيّن موقف الإسلام لكثير من القضايا العصرية المطروحة لاسيما النظريات العلمية الحديثة، حتى عبّر عنه السبحاني بأنّه"الثورة التفسيرية الكبرى"[16]، وقال عنه مكارم الشيرازي:"لا يمكن حلّ الكثير من أسرار القرآن الّا عن هذا الطريق ـ التفسير الموضوعي ـ ولا يمكن النفوذ إلى عمقها إلّا من خلال هذا السبيل"[17]، وللتفصيل أكثر في أهمية التفسير الموضوعي سنورد أقوال بعض المفكّرين في هذه المسألة:

أولا: ناصر مكارم الشيرازي

قد لخَّص الشيرازي أهمية و فائدة التفسير الموضوعي بنقاط أربع هي:

1ـ إزالة الإشكالات التي تبرز في بعض الآيات للمرحلة الأولى، وحلّ المتشابه في القرآن.

2ـ الاطّلاع على ظروف ومزايا وأسباب ونتائج المواضيع والأمور المختلفة المطروحة في القرآن الكريم.

3ـ الحصول على تفسير جامع بشأن مواضيع مثل(التوحيد) و(معرفة الله) و(المعاد) و(العبادات) و(الجهاد) و(الحكومة الإسلامية) و مواضيع مهمّة أخرى.

4ـ الحصول على أسرار وإيحاءات جديدة من القرآن عن طريق إلحاق الآيات ببعضها[18].

ثانيا: محمد علي الرضائي

ذكر الرضائي ست نقاط في أهمية التفسير الموضوعي تحت عنوان(فوائد التفسير الموضوعي) أربع منها تعود لمكارم الشيرازي وقد تم ذكرها سالفا وتفرّد بنقطتين هما:

1ـ الحصول على الرأي النهائي للقرآن حول موضوع معيّن.

2ـ "الإجابة على الأسئلة الجديدة للبشر، بالاستفادة من آيات القرآن"[19].

ثالثا: الدكتور مصطفى مسلم

تحدث الدكتور مصطفى مسلم عن أهمية التفسير الموضوعي في كتابه (مباحث في التفسير الموضوعي) في نقاط أربع مفصّلاً القول في كل واحدة منها، وسنكتفي بذكرها من دون التفصيل لاستيفائها المطلوب وهي كالآتي:

1ـ "إنّ تجدد حاجات المجتمعات وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ورؤية الحلول الصحيحة لها إلّا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"[20].

2ـ "إنّ تخصيص موضوع بالبحث والدراسة وجمع أطرافه والاطلاع على أسباب النزول للآيات المتعلقة به، وتحديد المرحلة التي نزلت الآيات الكريمة تعالج بعض جوانبه، وتوجيه ما ظاهره التعارض، كل ذلك يهيئ للموضوع جواً علمياً لدراسة هذا الموضوع بعمق وشمولية تُثري المعلومات حوله وتُبلّور قضاياه وتبرز معالمَهُ، ومثل هذا العمق ومثل هذا التوسع لإبراز معالم الموضوع لا يتيسر للباحث في أي نوع من أنواع التفاسير سواء التحليلي، أو الإجمالي، أو المقارن، بل التفسير الموضوعي هو الأسلوب الأمثل في بحث مثل هذه الأمور"[21].

3ـ "عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه"[22].

4ـ "تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها"[23].

وهناك آراء كثيرة أخرى في هذا الموضوع إلّا إنّها لا تختلف من ناحية المضمون مع ما سبق ذكره لذا لا داعي لذكرها درءً للإسهاب والإطالة.

المبحث الثاني: أنواع التفسير الموضوعي والفرق بينه وبين التفسير الترتيبي

المطلب الأوّل: أنواع التفسير الموضوعي

عند تتبعنا للتفسير الموضوعي نجد أنّ له ثلاثة أنواع أو ألوان كما عبّر عنها بعض الباحثين[24]، مع الاختلاف البسيط في التعامل مع مفرداتها، بيد أنّ السيد محمد باقر الصدر(ت1440هـ) أضاف لها نوعاً رابعاً، والأنواع هي:

أولا: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني

ويتحقق بأن "يتتبع الباحث مصطلح أو لفظة من كلمات القرآن الكريم ثمّ يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة عن طريق استعمال القرآن الكريم لها، وكثير من الكلمات القرآنية المتكررة أصبحت مصطلحات قرآنية، فكلمات: الأمّة، الصدقة، الجهاد، الكتاب، الذين في قلوبهم مرض، المنافقون، الزكاة، أهل الكتاب، الربا، تجدها تأخذ وجوها في الاستعمال والدلالة، فالمتتبع لمثل هذا يخرج بلون من التفسير لأساليب القرآن الكريم في استخدام مادة الكلمة ودلالاتها"[25]، ويلاحظ ذلك عن طريق كتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ككتاب(إصلاح الوجوه والنظائر) للدامغاني، وكذلك المفردات القرآنية ككتاب(المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني[26].

ثانيا: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني

هنا يعتمد الباحث على " تحديد موضوع قد تعرّض له القرآن بأساليب متنوعة في العرض والتحليل، فيقوم بجمع هذه الآيات التي اشتركت في هذا الموضوع، ويرتبها حسب النزول، ويقف على أسباب نزولها، ثمّ يتناولها

بالشرح والبيان والتعليق ويستنبط عناصر الموضوع عن طريق الآيات نفسها، وينسّق الموضوع، ويقسّمه إلى أبواب وفصول ومباحث حسب حجم الموضوع الذي يتناوله"[27].

وأن الباحث "يتجنّب خلال بحثه التعرّض للأمور الجزئيّة في تفسير الآيات فلا يذكر القراءات، ووجوه الإعراب والنكات البلاغيّة إلّا بمقدار ما تلقى أضواء على أفكار الموضوع الأساسيّة، ويعرض ما يتحدث عنه بأسلوب جذّاب لتوضيح مرمى الآيات ومقاصدها والحكمة الإلهيّة في عرض أفكار الموضوع بأساليب معيّنة واختيار ألفاظ محدّدة لها"[28]، وهذا "ما اعتنت به كتب آيات الأحكام وأمثالها"[29].

ثالثاً: التفسير الموضوعي للسورة القرآنيّة

يتناول الباحث هنا سورة قرآنيّة مستقلّة عن غيرها من السور بعدّها "وحدة موضوعيّة ويوجد ترابطاً بين آياتها يرمي فيها إلى هدف معيّن هو موضوع البحث في هذه السورة القرآنيّة ولعلّ من تلك الدراسات الجيّدة التي قُدّمت في هذا المجال هي: دراسة محمود البستاني التي حملت عنوان: (عمارة السورة القرآنيّة)"[30].

كذلك يعدّ علم المناسبات هو" الأسلوب البارز والأداة الفاعلة للربط والسبك؛ لتظهر بذلك وحدة السورة الموضوعيّة المتناسقة رغم كثرة قضاياها وموضوعاتها الفرعيّة والجزئيّة"[31].

رابعاً: التفسير الموضوعي للقرآن في جملته

وهذا النوع أو اللون قد أضافه السيد محمّد باقر الصدر(قده) والذي يتمثّل بطرح موضوع من موضوعات الحياة على القرآن الكريم ودراسته دراسة موضوعيّة، وتقييمه من أجل الخروج بنظريّة قرآنيّة حول هذا الموضوع[32]، وقد أشار إلى ذلك فيما بعد الدكتور عبد السلام حمدان اللوح قائلاً:"وهذا اللون حديث النشأة والولادة ولعل له مستقبلاً زاهراً يضاهي الألوان الثلاث السابقة؛ وذلك أنّ القرآن في ترابط سوره وآياته وتناسبها وأحكامها يظهر في جملته وحدة موضوعيّة واحدة يغطي قضايا وموضوعات موجودة في كل سورة، بل في كل آية من آياته، فعلى سبيل المثال موضوع الهداية، فالقرآن كلّه هداية لا تستثنى من ذلك سورة ولا آية تخرج من هذا المقصد العام، وكذلك الإعجاز فليس هناك سورة إلّا ويتحقق فيها هذا المقصد أيضاً، وهكذا المقاصد العامّة للقرآن تؤخذ من جملته باعتباره كلٌ لا يتجزأ"[33].

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي

عند تتبع عملية تفسير القرآن الكريم عبر مسيرتها التاريخية نجد أنّها اتخذت نمطين للتعامل مع النصوص القرآنية:

الأول: هو الذي اعتاد أنّ ينهجه المفسرون والباحثون منذ العصور الأولى للإسلام، وهو تفسير الآيات القرآنية بحسب تسلسل عرضها في القرآن الكريم، وتنتهي مهّمة تفسيرها عند تحديد معنى الآية موضوعة البحث مع ملاحظة بعض ظروف السياق أو بعض الآيات الأخرى المشتركة معها في الموضوع نفسه، ويسمّى هذا المنهج بالمنهج التجزيئي أو الترتيبي[34]، وأطلق عليه بعض اسم(الموضعي التحليلي)[35].

الثاني: هو" الذي شاع في العصر الأخير، وإنّ كان له حضور في السابق أيضاً، فهو النّظر إلى آيات القرآن الكريم باعتبارها وحدات مترابطة فيما بينها ضمن منظومات مفاهيمية متصلة وهو المسمّى بالتفسير الموضوعي"[36].

وحتى يكون هناك انطباع واضح وصورة جليّة للتفسير الترتيبي(التجزيئي) والموضوعي لابد من ذكر أوجه التمايز بينهما، وأوجه التمايز هي:

1ـ السلبية في الاتجاه التجزيئي والايجابية في الاتجاه الموضوعي؛ إذ "إنّ المفسّر التجزيئي دوره في التفسير على الأغلب سلبي؛ فهو يبدأ بتأويل النص القرآني المحدّد آية مثلا أو مقطعا قرآنياً دون أي اقتراحات أو طروحات مسبقة ويحاول أن يحدّد المدلول القرآني على ضوء ما يسعفه به اللفظ مع ما يتاح له من القرائن المتصلة والمنفصلة، وهذه العملية في طابعها العام عملية تفسير نص معين، وكأنّ دور النص فيها دور المتحدّث ودور المفسر هو الإصغاء والتفهّم وهذا ما نسمّيه بالدور السلبي والقرآن ذو دور إيجابي، والقرآن يعطي حينئذ، وبقدر ما يفهم هذا المفسّر من مدلول اللفظ يسجّل في تفسيره"[37]، وهذا على خلاف "المفسّر الموضوعي الذي لا يتّخذ من نفسه بالنسبة إلى النص دور المستمع المسجّل فحسب، بل يطرح بين يدي النص موضوعاً جاهزاً مشرّباً بعدد كبير من الأفكار والمواقف البشرية، ويبدأ مع النص القرآني حواراً، سؤالاً وجواباً، المفسّر يسأل والقرآن يجيب"[38]، وبذلك "يكشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح والنّظرية التي بإمكانه أن يستلهمها من النص، ومن خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتجاهات"[39].

2ـ "إنّ التفسير الموضوعي يتجاوز التفسير التجزيئي خطوة؛ لأنّ التفسير التجزيئي يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنيّة الكريمة، بينما التفسير الموضوعي يطمع إلى أكثر من ذلك؛ يتطلّع إلى ما هو أوسع من ذلك؛ يحاول أن يستحصل أوجه الارتباط بين هذه المدلولات التفصيلية، ويحاول أن يصل إلى مركّب نظري قرآني، وهذا المركّب النظري القرآني يحتل في إطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيليّة موقعه المناسب وهذا ما نسميه بلغة اليوم بالنظرية،...فهنا التفسير الموضوعي يتقدّم خطوة على التفسير التجزيئي بقصد الحصول على هذا المركّب النظري الذي لا بد أن يكون معبّراً عن موقف قرآني تجاه موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية"[40].

3ـ "التفسير الترتيبي البحت ينظر إلى زاوية من زوايا الموضوع، ويعطي رؤية ناقصة حول المواضيع القرآنية، في حين إنّ التفسير الموضوعي يعطي رؤية كاملة وجامعة حول الموضوع القرآني"[41].

4ـ يعدّ "التفسير الترتيبي مقدمة للتفسير الموضوعي، والقيام بالتفسير الموضوعي من دون الإحاطة والاطّلاع على التفسير الترتيبي غير صحيح؛ لأنّه بذلك يمكن الحصول على كثير من القرائن الموجودة في الآيات السابقة واللاحقة للآية(السياق)، ولا يحصل هذا الأمر إذا ما أخذنا التفسير الموضوعي لوحده"[42].

5ـ "يبدأ التفسير الترتيبي من النص، أمّا الموضوعي فيبدأ من واقع الحياة البشرية، أي إنّ التفسير الموضوعي يعالج الموضوعات التي تقع في الخارج والمشاكل والأسئلة التي تواجه الإنسان، وبعبارة أخرى: التفسير الترتيبي،

هو توضيح لآيات القرآن، دون الالتفات إلى الحاجات الفعليّة للمجتمع، أمّا التفسير الموضوعي فهو جواب للحاجات البشريّة الفعليّة للمجتمع الإنساني"[43].

6ـ "إذا كان التفسير الموضعي التحليلي ـ الترتيبي ـ يخدم الآية والجملة والمفردة القرآنية، فإنّ التفسير الموضوعي يخدم مهمّة القرآن ورسالته ووظيفته في حياة المسلمين، ويزيد تفاعل المسلمين مع القرآن وقناعاتهم بحقائقه ودعوتهم إليه"[44].

7ـ "ظهور التناقضات المذهبية وعدمه، لمّا كان المفسّر في التفسير الموضعي يقتصر على تفسير الآية التي يواجهها، فقد يؤدي تفسيره إلى ظهور التناقضات المذهبية، بخلاف التفسير الموضوعي؛ فإنّ المفسّر لمّا خطا خطوة أخرى، ولم يقتصر على الآية الخاصّة، تفادى كثيراً من هذه التناقضات" [45].

8ـ سعة الموضوع وضيقه، فإنّ المساحة التي يتحرّك بها المفسّر الموضعي هي القرآن كله، بخلاف الموضوعي الذي لا يكون منه إلّا موضوع واحد[46].

المبحث الثالث: أثر علماء الإماميّة في التفسير الموضوعي

المطلب الأوّل: أثر العلماء في التفسير الموضوعي

ازدهرت المدرسة الشيعية واربت ثمارها وفاح عطرها بعد أفول دولة بني أميّة وظهور دولة بني العبّاس سنة 132هـ، وأصبحت تتوسع وتزداد أفرادها وطلبتها لاسيما بعد الفسحة العقلية والحريّة النسبية التي تميّزت بها هذه المرحلة فسار الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) سيراً حثيثاً في نشر علوم أهل البيت(عليهم السلام)، وأفكارهم ورواياتهم متتبّعاً سلسلة ذهبيّة لنقل التراث منه عن أبيه عن جدّه إلى أن تصل منتهاها إلى النبيّ الأكرم محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلم) وممّا نقلوه عنه من نقلٍ متواترٍ من تفسير القرآن بالقرآن واهتمامه بذكر الوقائع والأفكار الموضوعيّة وتفسيرها(كالغيب، والمعاد، والجنّة والنّار) وغيرها من الموضوعات التي أخذت بعد أن دخل الفكر العربي في أقيّسة المنطق والتحديد وسار ركب التصنيف فأُطلقت على هذه الطريقة تسمية التفسير الموضوعي في تفسير النص القرآني الذي يرجع في أصوله إلى النبي الأكرم(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويتّضح ذلك من تفسيره(صلّى الله عليه وآله) لآيات قرآنيّة مستنداً إلى آيات أخرى، ومن ذلك ما "روى ابن مسعود عنه (ص)، إذ قال: لما نزلت الآية:{الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...}[47]، شقّ على الناس وقالوا يا رسول الله وأيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال(صلّى الله عليه وآله) إنّه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح:{يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[48]"[49].

ولكونها مدرسة تنتقل من الخط الرباني ذاته، ساير أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة عليهم السلام ما خطته يد النبي الأكرم (ص) وما زقه في عقولهم فتتبعوا طريقته ومنهجه، والأمر يبدأ من عند تلميذه النجيب وابن عمّه إمام الأمّة وأميرها الذي تتبّعه في الأمر وسار في ركابه في التفسير والقول، فقد "روي عن يونس عن الحسن، أنّ عمر أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهمَّ برجمها، فقال له أمير المؤمنين(عليه السلام): إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إنّ الله تعالى يقول: {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا}[50]، ويقول: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ

كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}[51]، فإذا تمّت المرأة الرضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثون شهراً كان الحمل منها ستة أشهر، فخلا عمر سبيل المرأة"[52].

وهكذا لواء مُرّرَ إلى أولاده(عليهم السلام) وتلامذته كعبد الله بن عبّاس وأبي الأسود الدؤلي وغيرهم.

وقد استفاد أصحاب أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، من طريقة تفسير القرآن بالقرآن بعد أن شهدوا العمل بها من قبل رسول الله(صلّى الله عليه وآله) وأهل بيته(عليهم السلام)، فراحوا يعتمدونها في مصنفاتهم، ويعدّ محمّد بن سائب الكلبي(ت146هـ) الذي هو أحد أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام) أوّل من اعتمد هذا الأسلوب في مصنّف في كتابه الذي أسماه(أحكام القرآن)، فهو بذلك سابق حتى لابن إدريس الشافعي(ت204هـ) في تأليفه بهذا النحو[53]، ثم تابعه " لفيف من علماء الشيعة عند تفسيرهم آيات الأحكام الشرعيّة المتعلقة بعمل المكلف في حياته الفردية والاجتماعيّة فإنّ النمط السائد على تأليفهم في هذا الصعيد هو جمع الآيات المتفرّقة الراجعة إلى موضوع واحد في مبحث واحد، فيفسّرون ما يرجع إلى الطهارة في القرآن في باب واحد، كما يفسّرون ما يرجع إلى الصلاة في مكان خاص، وهكذا سائر الآيات"[54]، ومن هذه الكتب هو كتاب(منهاج الهداية في شرح آيات الأحكام) للشيخ ابن المتوّج البحراني(ت820هـ)، و(كنز العرفان) للشيخ المقداد السيوري(ت826هـ)، وغيرها ممّا كُتب في هذا الصدد، بخلاف ما كُتب من قِبَل علماء أهل السنّة في تفسير آيات الأحكام كالجصاص الحنفي(ت370هـ)، والكيّا الهراسي الشافعي(ت504هـ)، وابن العربي المالكي(ت543هـ) وغيرهم؛ فهم قد فسّروا آيات الأحكام بحسب السور[55].

توسّع هذا الأسلوب في التأليف فيما بعد عن طريق الكتب المؤلفة في الفقه والحديث، والمحاولة الأولى كانت من قِبَل "العلامة المجلسي(ت1111هـ) والذي اتّبعه في جميع أبواب موسوعته(بحار الأنوار) حيث جمع الآيات المرتبطة بكل موضوع في أوّل الأبواب وفسّرها تفسيراً سريعاً، وهذه الخطوة وإن كانت قصيرة، لكنّها جليلة في عالم التفسير؛ إذ قام بذلك مع عدم وجود المعاجم القرآنيّة الرائجة في تلك الاعصار"[56].

ويجب الإشارة إلى مسألة مهمّة مفادها: إنّ السابقين لم يلتفتوا إلى أسلوب التفسير الموضوعي بصورة كاملة حتّى إنّنا لم نجد تسمية(التفسير الموضوعي) في مصنّفاتهم وما ذكرناه هو أحد أنواع هذا الأسلوب، وهنا لابد من التمييز بين المفهوم العام للتفسير الموضوعي، والمصطلح الخاص له، فإذا قلنا بالأول فإنّ التفسير الموضوعي ليس بجديد على ساحة الدراسات القرآنية، لكنّه لم يكن مستقلّاً بذاته كما هو اليوم[57]، بل قديم بقدم التفسير، وتطوّر معه منذ زمن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلّم) وحتّى يومنا الحاضر، وهذا ما تمّ الإشارة إليه سابقاً، أمّا إن كان البحث في تأريخ المصطلح، "فالمصطلح حديث فقد كان ظهوره بشكل محدّد وواضح المعالم في القرن الرابع عشر الهجري، وقد اختلف الباحثون في تحديد زمان بدايته، فيحتمل أن يكون أوّل من فكّر به هو الثائر والقائد الجزائري ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العلّامة عبد الحميد بن باديس(ت1940م)، بل يمكن القول أنّه ليس أوّل من فكر به فحسب بل هو أوّل من عرضه في دراسة إلّا أنّ عرضه للموضوع كان خجلاً وكان ذلك في بداية الثلاثينات من القرن المنصرم حينما درس موضوع(العرب في القرآن) وكانت دراسته تطبيقيّة"[58]غير واضحة؛ كونه كان متحفّظاً على فكرة دراسة هذا الأسلوب من التفسير؛ ويرجع تحفّظه هذا لعلمه

بأنّ القول بهذا الأسلوب في التفسير سيكون غير مرحّب به بين الأوساط العلمية؛ كون سيسلك طريقة جديدة في التفسير تخالف مشهور المفسرين وهذا ما سيفتح عليه جبهة تضعف مقبوليته عند جمهوره لا سيما الثوّار الذين شاركوه الرغبة بالجهاد والتخلّص من المحتل وعندها سيفشل مشروعه الثوري، وبهذا يكون قد تركها لهدف أسمى.

إلّا إنّ ابن باديس قد ثمّن التفسير الموضوعي وأدرك ما له من أهميّة فلم يريد أن تبقى هذه الفكرة حبيسة أفكاره فمرّرها إلى بعض الخواصّ من الذين التقوا به وحضروا عنده الدرس وأودعها عندهم، ومن هؤلاء الذين تحمّلوا تلك الأمانة الأستاذ أمين الخولي أستاذ الدراسات القرآنيّة في جامعة القاهرة(ت1966م)، إذ أخذ عنه فكرة التفسير الموضوعي وتبنّاها، بعد أن صرّح بها عام(1933م) بمقالة نشرت له في مجلّة المعارف المصريّة، عند معالجته لضوابط التفسير الأدبي الذي دعا إليه[59]، إذ أوضح "أنّ ترتيب القرآن في المصحف لم يلتزم بوحدة الموضوع، كما لم يلتزم بالترتيب الزمني لظهور الآيات، وإنّما تحدّث عن الموضوع الواحد في سياقات متعدّدة، ومناسبات متنوّعة، وهذا يقتضي أنْ يفسّر القرآن موضوعاً موضوعاً لا قطعة قطعة ولا سورة سورة، وأنْ تُجمع الآيات الخاصّة بالموضوع الواحد، ويعرف ترتيبها الزمني، ومناسباتها وملابساتها الحافّة بها، وقد دعا الخولي إلى هذه الفكرة كثيراً، وعدّها أصل لا يمكن الاستغناء عنه في التفسير الأدبي"[60].

وأنّ دفاع الخولي عن هذه الفكرة جعل الجميع تقريباً يقول بأنّه أوّل من قال بها؛ كونه لم يكتفِ بما كتب هو بل دعا إليها وركن إليها كثيراً، وعدّها أصلاً لا يمكن الاستغناء عنه في التفسير الأدبي، وسرعان ما جاءت تلبية تلك الدعوة من أحد تلامذته، وهو الدكتور محمّد أحمد خلف الله، الذي تقدّم برسالة دكتوراه سنة 1947م حول(الفنّ القصصي في القرآن)، إذ استهلّها قائلاً:" إنّ السبب الذي دفعه لأنْ يجعل القرآن ميدان أبحاثه، يرجع إلى نوع من الاستهواء، غرسه في نفسه أُستاذه الخولي، عن النهج الأدبي في فهم القرآن وتفسيره"[61].

ولا بد من الإشارة إلى أنّ هذه الرسالة لم تلقَ قبولاً في الأوساط العلميّة آنذاك بل "فتحت عليها طاقة وسيعة من الجحيم المستعر وارتفعت أصوات منكرة وشرعت أقلام شرسة وامتشقت أسياف جديدة صارمة تطعنها، وكان في مقدمة الرافضين لها الأكاديميون(ذو اللقب العلمي)، ويرجع رفضهم هذا؛ إلى أنّ الباحث جاء بأفكار جديدة خالفت المشهور من المفسرين"[62].

ومع ذلك فإنّ الرغبة التي أودعها الخولي عند بعض الباحثين في تلك المرحلة ضلّت متوقّدة عندهم، حتى وصل الأمر ومع ما لاقت من رفض قاطع واتّضح ذلك جليّاً في الحرب الشعواء التي شُنّت ضد الرسالة التي كتبها محمد أحمد خلف الله، فإنّ في العام نفسه قد قدّمت أطروحة دكتوراه بجامعة السوربون تحت عنوان(دستور الأخلاق في القرآن)، من قِبَل الشيخ محمّد عبد الله درّاز، والذي اتّبع فيها نظاماً منطقياً لاستكشاف دلالات الآيات، ومن ثم استخلاص الشريعة الأخلاقية من القرآن في مجموعه[63].

إنّ عدم تجلّي النظريّة بصورتها الواضحة كان سبباً في هذا اللّبس الذي أدّى إلى رفضها، ويوعَز ذلك إلى اضطراب الطريقة التي طُرِحت بها، فإنّها جاءت بأفكار جلّها تخالف مشهور المفسرين، وهذا ما يصعب تقبّله عند الكثيرين؛ لأنّهم رأوا بأنّ هذه النظريّة هي محاولة انتزاع مفهوم قرآني من عدد من الآيات القرآنيّة المباركة.

وإنّ المحاولات في دراسة هذه النظريّة استمرّت من دون أن يُطلق عليها اسم التفسير الموضوعي بصورة واضحة إلى عام(1966م) إذ" كتب الدكتور أحمد الكومي رئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر كتاباً أسماه(التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)"[64]، وكانت محاولة جيدة من قِبَله، إلّا إنّ هذه النظريّة شهدت تحوّلاً في عام (1979م) عندما ألّف السيد محمّد باقر الصدر(قده) كتاباً فيه أسماه بـ(المدرسة القرآنيّة)؛ وقد كان سبب التحوّل عندما أوضح السيد الصدر سمات هذه النظرية ورسم حدودها، وكيفيّة تناولها للنص القرآني، وعلاقتها بالتجربة البشريّة، فهو(قده) قد رأى أنّ عمليّة التفسير الموضوعي هي عمليّة حوار مع القرآن الكريم واستنطاقه، فالمفسّر هو من يسأل والقرآن يجيب، وهنا سيكون التفسير يبدأ من الواقع وينتهي بالقرآن لا العكس، وبهذا خرجت الدراسة عن إطار الدراسة الموضوعيّة داخل القرآن، وهكذا استمرَّ التطوّر في هذا النوع من التفسير إلى يومنا الحاضر[65].

توالت بعد ذلك المصنّفات في التفسير الموضوعي عند الإماميّة ولا بأس بذكر بعضها، وهي:

1ـ كتاب(مفاهيم القرآن) للشيخ جعفر السبحاني، ويعدّ السبحاني من الفقهاء والمحققين المعاصرين، الذي ألّفه بمعيّة نخبة من العلماء الأفاضل في الحوزة العلميّة[66]، وقد "طبع من هذا التفسير الموضوعي باللغة العربيّة عشرة أجزاء باسم(مفاهيم القرآن) وباللغة الفارسيّة أربعة عشر جزءاً وانتشر باسم(منشور جاويد)"[67].

ويعدّ هذا التفسير"من أفضل التفاسير التي تناولت الأسلوب الموضوعي؛ حيث جمع فيه المفسّر الآيات التي تتحدّث في موضوع واحد ثمّ حلّلها وربط بين معانيها ومقاصدها فكان ذلك في منتهى الحسن والدقّة"[68]، وقد أثنى عليه السيد محمّد باقر الصدر في رسالة وجهها إلى الشيخ السبحاني عام1979م، وقد تولّى طباعة هذا التفسير ونشره مطبعة مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)[69].

2ـ كتاب(نفحات القرآن) للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، " لقد تعاون على تأليف هذا التفسير جمع من فضلاء الحوزة العلميّة بقم المقدسة، ولهذا كان هذا التفسير عملاً جماعيّاً، قد بُذِلت في تدوينه جهود، ولكن تحت إشراف المرجع الديني البارز الشيخ ناصر مكارم الشيرازي حفظه الله، أحد أعلام العصر ومجتهديه"[70].

اختار الشيخ الشيرازي أسلوب التفسير الموضوعي في(نفحات القرآن) إذ"جمع كل الآيات الواردة في كل موضوع وجعلها في مقدّمة كل بحث، وجعل كل مسائل البحث تسير تحت ظل الآيات، وهذا السبيل الأمثل للوصول إلى دقائق القرآن"[71].

وقد صدر من هذا التفسير عشرة مجلّدات، وقد تولّى طباعة هذا التفسير مطبعة الحيدري وقام بنشره مؤسسة أبي صالح للنشر والثقافة.

المطلب الثاني: تطبيقات في التفسير الموضوعي

لغرض بيان دور مفسّري الإماميّة في التفسير الموضوعي نورد التطبيقين الآتيين:

أوّلاً / الطاعة والخضوع وإظهار التذلّل ليست ـ على وجه الإطلاق ـ عبادة:

لا يمكن القول بأنّ كل خضوع عباد؛ فبلا شكّ أنّ"خضوع الولد أمام والده، والتلميذ أمام أُستاذه، والجندي أمام قائده، لا يعد عبادة مطلقاً مهما بالغوا في الخضوع والتذلّل، وتدل الآيات ـ بوضوح ـ على أنّ غاية الخضوع والتذلّل، فضلاً عن كون مطلق الخضوع، ليست عبادة"[72]، ومن هذه الآيات:

1ـ قال تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}[73].

فقد دلّت هذه الآية"على أنّ آدم(عليه السلام) وقع مسجوداً للملائكة، ولم يحسب سجودهم شركاً وعبادة لغير الله، ولم تصر الملائكة بذلك العمل مشركة، ولم يجعلوا بعملهم ندّاً لله وشريكاً في المعبودية، بل كان عملهم تعظيماً لآدم وتكريماً لشأنه"[74].

وقد يُتَصَوَّر هنا "أنَّ معنى السجود لآدم في هذه الآية هو الخضوع له، لا السجود بمعناه الحقيقي والمتعارف، ومعلوم أنّ مطلق الخضوع ليس عبادة، بل«غاية الخضوع» التي هي السجود، هي التي تكون عبادة، أو يمكن أن يتصوّر أنّ المقصود بالسجود لآدم هو جعله «قبلة» لا السجود له سجوداً حقيقيّاً، ولكن كِلا التصوّرين باطلان"[75].

فأمّا "الأوّل فلأنّ تفسير السجود في الآية بالخضوع خلاف الظاهر، والمتفاهم العرفي إذ المتبادر من هذه الكلمة هو الهيئة السجودية المتعارفة لا الخضوع، كما أنّ التصوّر الثاني هو أيضاً باطل، لأنّه تأويل بلا مصدر ولا دليل، مضافاً إلى أنّ آدم (عليه السَّلام) لو كان قِبلة للملائكة لما كان ثمة مجال لاعتراض الشيطان، إذ قال:{أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا}[76]؛ لأنّه لا يلزم ـ أبداً ـ أن تكون القِبلة أفضل من الساجد ليكون أي مجال لاعتراضه، بل اللازم هو: كون المسجود له أفضل من الساجد، في حين أنّ آدم لم يكن أفضل في نظر الشيطان منه، وهذا ممّا يدلّ على أنّ الهدف هو السجود لآدم"[77].

2ـ إنّ القرآن قد صرّح بسجود أبويّ يوسف وإخوته له، إذ قال تعالى:{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبّي حَقّاً}[78].

ورؤياه التي يشير إليها القرآن في هذه الآية هو ما جاء في مطلع السورة:{إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}[79].

وقد "تحققت هذه الرؤيا بعد سنوات طويلة في سجود أخوة يوسف وأبويه له، وعبَّر القرآن... بلفظ السجود ليوسف، ومن هذا البيان يستفاد جليّاً أنّ مجرد السجود لأحد بما هو هو مع قطع النظر عن الضمائم والدوافع ليس عبادة، والسجود كما نعلم هو غاية الخضوع والتذلّل"[80].

3ـ "يأمر الله تعالى بالخضوع أمام الوالدين وخفض الجناح لهم، الذي هو كناية عن الخضوع الشديد، إذ يقول:{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}[81].

ومع ذلك لا يكون هذا الخفض: عبادة"[82].

4. إنّ القرآن الكريم يأمر بأن نتخذ من مقام إبراهيم مصلّى عندما يقول: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهيمَ مُصَلّىً}[83].

ولا ريب في أنّ الصلاة إنّما هي لله سبحانه ، ولكن إقامتها في مقام إبراهيم الذي يرى فيه أثر قدميه أيضاً نوع من التكريم لذلك النبي العظيم ولا يتصف هذا العمل بصفة العبادة مطلقاً[84].

5. "إنّ شعار المسلم الواقعي هو التذلّل للمؤمن والتعزّز على الكافر كما يقول سبحانه:{فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْم يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّة عَلَى الْمُؤْمِنينَ أَعِزة علَى الْكَافِرِينَ}[85]" [86].

ويخلص الشيخ قائلاً: "إنّ مجموع هذه الآيات...تدل على أنّ مطلق الخضوع والتذلّل، أو التكريم والاحترام ليس عبادة،...في حين أنّ العبادة ليست إلاّ نوعاً خاصّاً من الخضوع، ومن هذا البيان يمكن أيضاً أن نستنتج أنّ تكريم أحد واحترامه ليست ـ بالمرة ـ عبادة؛ لأنّه في غير هذه الصورة يلزم أن نعتبر جميع البشر حتى الأنبياء مشركين؛ لأنّهم أيضاً كانوا يحترمون من يجب احترامه"[87].

ثانياً/ العلم منشأ تقوى الله وخشيته

الخشية هو تزامن الخوف مع التعظيم، ومنشأه غالباً عن العلم[88]، وقد أشارت إلى ذلك الآيات القرآنيّة الآتية:

1. قال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }[89].

2. قال تعالى: {وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}[90].

ولو لم تكن"هناك علقة بين«العلم» و«التقوى» لم يخاطب الله سبحانه «اولو الالباب» داعيهم للتقوى في الآية، وهذا الخطاب دليل على هذه العلقة المباركة"[91].

3. قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[92].

4. قال تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[93].

ويمكن القول بأنَّ "هذا التعبير في الآية الاخيرة يدل بوضوح على أنّ الله سبحانه يبيّن الآيات كمقدمة لإثارة عقول وقلوب النّاس، والإثارة سبيل الى التقوى بالطبع ليس كلما وجد العلم حصلت التقوى؛ لأنّ هناك علماء غير عاملين، لكن المتيقّن منهم أنّهم يعتبرون العلم مقدمة وأرضية خصبة للتقوى، ويعتبر من المصادر الأساسية للتقوى، والتقوى غالباً ما تنبع عن العلم، العلم الذي كان منشأ للإيمان سيكون منشأً للتقوى كذلك، والعكس بالعكس، فالجهل غالباً ما يؤدى الى عدم التقوى والورع"[94].

الخـاتمـة

الحمد لله الذي بتوفيق منه سبحانه تمّ هذا البحث، وفي نهاية المطاف أودّ أن أسجّل أهم النتائج التي تمخّضت عنه، وهي كالأتي:

1. ترجع أصول التفسير الموضوعي في تفسير النص القرآني إلى النبي الأكرم محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويتّضح ذلك من تفسيره(ص) لآيات قرآنيّة مستنداً إلى آيات أخرى.

2. التفسير الموضوعي هو الأسلوب الذي يتناول فيه المفسّر الآيات القرآنيّة ذات العلاقة بموضوع معيّن للخروج بنظريّة حول ذلك الموضوع، ويعدّ التفسير الموضوعي أسلوباً وليس اتجاهاً أو منهجاً.

3ـ تتّضح أهميّة التفسير الموضوعي بمقدار ما لبّى من احتياجات عجزت عن تلبيتها المناهج الأخرى فهو قد بيّن موقف الإسلام لكثير من القضايا العصريّة المطروحة لا سيما النظريات العلميّة الحديثة وغيرها، حتّى عبّر بعضهم عنه بالثورة التفسيريّة الكبرى، كما أنّه لا يمكن حلّ كثيراً من أسرار القرآن إلّا عن طريق التفسير الموضوعي ولا يمكن النفوذ إلى عمقها إلّا من هذا السبيل.

4ـ يعدّ التفسير الترتيبي مقدمة للتفسير الموضوعي، والقيام بالتفسير الموضوعي دون الإحاطة والاطلاع على التفسير الترتيبي غير صحيح؛ لأنّه بذلك يمكن الحصول على كثير من القرائن الموجودة بالآيات السابقة واللاحقة للآية(السياق)، ولا يحصل هذا الأمر إذا ما أخذنا التفسير الموضوعي لوحده.

5ـ يعدّ محمد بن سائب الكلبي(ت146هـ) الذي هو أحد أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام) أوّل من صنّف في تفسير القرآن بالقرآن؛ بكتاب أسماه(أحكام القرآن).

6ـ توسّع تفسير القرآن بالقرآن فيما بعد عن طريق الكتب المؤلفة في الفقه والحديث، والمحاولة الأولى كانت من قِبَل العلامة المجلسي(ت1111هـ) الذي اتّبعه في جميع أبواب موسوعته (بحار الأنوار) إذ جمع الآيات المربوطة بكل موضوع في أوّل الأبواب وفسّرها تفسيراً سريعاً.

7ـ شهد التفسير الموضوعي تحوّلاً في عام(1979م) عندما ألّف السيد محمّد باقر الصدر(قده) كتاباً فيه أسماه بـ(المدرسة القرآنيّة).

الهوامش:

(1) وسائل الشيعة: الحر العاملي: 27/ 34.

(*) البناءات التفسيرية: البناء هو وضع شيء على شيء على صفة يراد بها الثبوت، قال ابن فارس: الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض، وقال ابن جنّي: وكأنّهم إنّما سموه بناء؛ لأنّه لما لزم ضرباً واحداً، فلم يتغيّر تغيّر الإعراب، سمي بناء من حيث كان البناء لازماً موضعه لا يزول من مكان إلى غيره، والتفسير من الفسر وهو البيان، وقد فسرت الشيء أفسره بالكسر فسراً، والتفسير مثله، وبالجمع بين المفهومين يتّضح لنا أنّ المراد من البناءات التفسيريّة هو البيان القائم على أساس الثبوت وعدم التغيّر، أنظر: الصحاح: الجوهري: 781/2، مجلة تراثنا: مؤسسة آل البيت(ع): 273/41.

(2) ينظر: البحر المحيط: أبي حيّان الأندلسي: 9/1.

(3) مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي: 39/1.

(4) لسان العرب: ابن منظور: 55/5.

(5) مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني: 4/2.

(6) الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي: 4/1.

(7) الصحاح: الجوهري: 1299/3.

(8) مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم:16.

(9) المدخل الى التفسير الموضوعي: عبد الستار سعيد:20.

(01) دائرة المعارف الإسلاميّة: أمين الخولي: 368/5.

(11) المدرسة القرآنية: محمد باقر الصدر:36.

(12) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم:366.

(13) المدخل إلى التفسير الموضوعي: عبد الستار سعيد: 33.

(14) التفسير الموضوعي في كفتي الميزان: عبد الجليل عبد الرحيم: 24.

(15) أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن: مازن شاكر التميمي:42 ـ43.

(16) الميثاق الخالد: جعفر السبحاني:12/1.

(17) نفحات القرآن: مكارم الشيرازي: 12/1.

(18) المصدر نفسه: 12/1-11.

(19) مناهج التفسير و اتجاهاته: محمد علي الرضائي: 422

(20) مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم: 30.

(21) المصدر نفسه: 31.

(22) المصدر نفسه: 31.

(23) المصدر نفسه: 32.

(24) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق: صلاح الخالدي: 56، وينظر: البداية في التفسير الموضوعي: عبد الحي الفرماوي: 52.

(25) مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم: 23.

(26) ينظر: المصدر نفسه: 23 ـ 24.

(27) البداية في تفسير الموضوعي: عبد الحي الفرماوي:52.

(28) مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم: 27.

(29) أصول و قواعد التفسير الموضوعي للقرآن: مازن شاكر التميمي: 65.

(30) المصدر نفسه: 65 ـ 66.

(31) دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: عبد المنعم القصاص: 30.

(32) ينظر: المدرسة القرآنيّة: محمّد باقر الصدر: 27.

(33) وقفات مع نظريّة التفسير الموضوعي: عبد السلام حمدان اللوح: 30.

(34) ينظر: علوم القرآن: محمد باقر الحكيم: 365.

(35) التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق: صلاح الخالدي:42.

(36) المبادئ العامة لدرس القرآن وتفسيره:محمد مصطفوي:35.

(37) المدرسة القرآنية: محمد باقر الصدر:28.

(38) المصدر نفسه: 28ـ29.

(39) المصدر نفسه: 29.

(40) المصدر نفسه: 34 ـ 35.

(41) مناهج التفسير واتجاهاته: محمّد علي الرضائي: 423.

(42) المصدر نفسه: 423 ـ 424.

(43) المصدر نفسه: 424.

(44) التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق: صلاح الخالدي: 43.

(45) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنّة: فاكر الميبدي: 407.

(46) ينظر: المصدر نفسه: 408.

(47) سورة الأنعام: الآية 82.

(48) سورة لقمان: الآية 13.

(49) بحار الأنوار: المجلسي: 150/66.

(50) سورة الأحقاف: الآية 15.

(51) سورة البقرة: الآية 233.

(52) وسائل الشيعة: الحر العاملي: 383/21.

(53) ينظر: المبادئ العامّة لدرس القرآن وتفسيره: محمّد مصطفوي: 41.

(54) مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني: 8/1 ـ 9.

(55) ينظر: المصدر نفسه: 1/ 9.

(56) المصدر نفسه: 10/1.

(57) ينظر: التفسير والمفسرون: الذهبي: 148/1 ـ 149.

(58) التفسير الموضوعي المفهوم والمنهج، مقال نشر على موقع أصوات الشمال، الرابط:
http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=56538

(59) ينظر: دائرة المعارف الإسلاميّة: 368/5.

(60) المصدر نفسه: 368/5.

(61) الفن القصصي في القرآن الكريم: محمّد أحمد خلف الله:28/1.

(62) المصدر نفسه: 9/1.

(63) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن: محمّد عبد لله درّاز: 8 ـ 10.

(64) البداية في التفسير الموضوعي: عبد الحي الفرماوي: 61.

(65) ينظر: المدرسة القرآنيّة: محمّد باقر الصدر: 31.

(66) ينظر: المدارس التفسيريّة: محمّد الشبيب ومحمّد الشملاوي: 69.

(67) المصدر نفسه: 68.

(68) المصدر نفسه: 67 ..

(69) ينظر: المصدر نفسه: 67 ـ 69.

(70) المصدر نفسه: 70.

(71) المدارس التفسيريّة: محمّد الشبيب ومحمّد الشملاوي: 75.

(72) التوحيد والشرك في القرآن الكريم: جعفر السبحاني: 51.

(73) سورة البقرة: الآية34.

(74) مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني: 444/1.

(75) المصدر نفسه: 444/1.

(76) سورة الإسراء: الآية61.

(77) المصدر نفسه: 444/1.

(78) سورة يوسف: الآية100.

(79) سورة يوسف: الآية4.

(80) مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني: 446/1.

(81) سورة الإسراء: الآية24.
(82) مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني: 446/1.
(83) سورة البقرة: الآية 125.
(84) ينظر: مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني: 447/1.
(85) سورة المائدة: الآية54
(86) ينظر: مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني: 447/1.
(87) مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني: 448/1.
(88) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني: 300/1.
(89) سورة فاطر: الآية28.
(90) سورة البقرة: الآية197.
(91) نفحات القرآن: ناصر مكارم الشيرازي: 66/1.
(92) سورة المائدة: الآية100.
(93) سورة البقرة: الآية187.
(94) نفحات القرآن: ناصر مكارم الشيرازي: /67.

المصادر والمراجع

- **القران الكريم خير ما نبتدئ به.**

1ـ أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن: مازن شاكر التميمي، دار الكفيل، كربلاء ـ العراق، الطبعة الأولى، 1436هـ.

2ـ بحار الأنوار: محمّد باقر المجلسي(ت1111هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1403هـ.

3ـ البحر المحيط: محمّد يوسف بن علي المعروف بأبو حيّان الأندلسي(ت745هـ)، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ.

4ـ البداية في تفسير الموضوعي: عبد الحي الفرماوي، مطبعة الحضارة العربيّة، جدّة ـ السعوديّة، الطبعة الثانية، 1397هـ.

5ـ التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق: صلاح الخالدي، دار النفائس، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ.

6ـ التفسير الموضوعي في كفتي الميزان: عبد الجليل عبد الرحيم، دار النفائس، عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى، 1413هـ.

7ـ التفسير والمفسرون: محمّد حسين الذهبي، الناشر: المؤلّف، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية، 1396هـ.

8ـ التوحيد والشرك في القرآن الكريم: جعفر السبحاني: انتشارات أسوة، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، 1413هـ.

9ـ دائرة المعارف الإسلاميّة، مادة تفسير، أوفست، القاهرة ـ مصر، 1354هـ.

10ـ دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: عبد المنعم القصاص، مطبعة الحسين(عليه السلام) الإسلاميّة، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1411هـ.

11ـ دستور الأخلاق في القرآن: محمّد عبد الله درّاز(ت1377هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة العاشرة، 1418هـ.

12ـ الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري(ت393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، 1407هـ.

13ـ علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، دار التعارف، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1415هـ.

14ـ الفن القصصي في القرآن الكريم: محمّد أحمد خلف الله، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، 1420م.

15ـ قواعد التفسير لدى الشيعة والسنّة: فاكر الميبدي، مركز التحقيقات والدراسات العلميّة، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، 1428هـ.

16ـ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين الأفريقي المصري المعروف بإبن منظور(ت711هـ)، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، د.ت.

17ـ مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى،**1410**هـ.

18ـ المبادئ العامة لدرس القرآن وتفسيره: محمد مصطفوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1433هـ.

19ـمجلة تراثنا: مؤسسة آل البيت(ع)، مطبعة ستارة، قم ـ إيران، (د.ط)، 1419هـ.

20ـ مجمع البيان في تفسير القران: أبا علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت548هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى،1415هـ.

21ـ المدخل إلى التفسير الموضوعي: عبد الستار سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامي، بور سعيد ـ مصر، الطبعة الثانية، 1411هـ.

22ـ المدارس التفسيريّة: محمّد الشبيب ومحمّد الشملاوي، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1427هـ.

23ـ المدرسة القرآنية: محمد باقر الصدر، طبعة مكتبة سلمان المحمّدي، بغداد ـ العراق، الطبعة الأولى، 1434هـ.

24ـ مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني، تحقيق: جعفر الهادي، مؤسسة الصادق(عليه السلام)، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، 1420هـ.

25ـ مفردات ألفاظ القرآن: حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت502هـ) دار القلم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى، د.ت.

26ـ مناهج التفسير واتجاهاته: محمد علي الرضائي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1432هـ.

27ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبدالعظيم الزرقاني(ت1367هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ.

28ـ الميثاق الخالد: جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق(عليه السلام)، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، د.ت.

29ـ الميزان في تفسير القرآن: محمّد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرستين في الحوزة العلميّة، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، د.ت.

30ـ نفحات القرآن: ناصر مكارم الشيرازي، نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، 1421هـ.

31ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمّد بن الحسن المعروف بالحُر العاملي(ت 1104 هـ)، تحقيق: محمّد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، 1409هـ.

32ـ وقفات مع نظريّة التفسير الموضوعي: عبد السلام حمدان اللوح، بحث مقدّم في الجامعة الإسلاميّة ـ كليّة أصول الدين، غزّة ـ فلسطين، 1423هـ.

المواقع والكتب الألكترونيّة:

1ـ التفسير الموضوعي المفهوم والمنهج، مقال نشر على موقع أصوات الشمال، الرابط:
http://www.aswat-elchamal.com